بين لصين

«حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ.
... وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِه» (متى ٢٧: ٣٨ و٤٤).

تأليف: ادي كلور

عندما وصف لوقا صلب الرب قال: «وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنَبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ» (لوقا ٢٣: ٣٣). عندما اختار بيلاطس أن يعدم ثلاث محبوسين في يوم الجمعة ذلك، لم يكن يعلم انه يتمم نبوءة في العهد القديم عن المسيا. وردت نبوءة في الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء النبي تقول: «وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ ...» (آية ٩).

كان كلا اللصان يسخران من المخلص في اللحظات الأولى من الصلب. عندما كان رؤساء الكهنة والشيوخ والعسكر والمارون يسخرون بالمسيح، كذلك أيضاً اللذان «صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ» (مرقس ١٥: ٣٢). ولكن عندما طال زمن الآلام، لاحظ أحد اللصين تصرفات المسيح وكلامه وسلوكه، فآمن به. بحسب إنجيل لوقا، استمر اللص الآخر يسيء إلى يسوع قائلاً: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» (لوقا ٢٣: ٣٩). ولكن اللص الذي آمن به بدأ يدافع عنه وقال: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِه؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّه» (لوقا ٢٣: ٤٠ و٤١). لقد رأى شخصية المسيح المعصومة الذي أظهرها خلال محنة الصلب هذه. وإذ حثه بر يسوع، نظر إلى نفسه بأكثر صدق معترفاً بإثمه واستحقاقه للصلب. لم ينكر كمالية الشخص الذي كان على الصليب بجانبه. أصبحت التوبة وفحص النفس اللذان أتيا بما رآه هذا الإنسان في يسوع واضحاً في كلامه مع اللص الآخر.

ربما التفت اللص التائب إلى يسوع بعد وقت قصير من تبادل الكلمات مع اللص الآخر وقال مرددا: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا ٢٣: ٤٢). أجابه يسوع بوعد رجاء رائع قائلاً: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٤٣). لا نعرف شيء عن خلفية هذا الإنسان. ربما كان يهودياً يؤمن بمجيء المسيا، ولكنه ضل من إيمانه. كان باستطاعته أن يكرس نفسه لتأسيس مملكته {أي مملكة المسيا}. ولكن لسبب ما أرتكب السرقة والقتل؛ وتم القبض عليه بسبب أعمال الشغب وحكم عليه أخيراً بالصلب.

لا نعرف شيئاً عن هذين المجرمين غير ما تخبرنا به النصوص المقدسة عنهما. تقول أحد التقاليد غير الموحى بها أن اسم أحد هذين اللصين كان ديماس والآخر فستاس. يسميهما متى ومرقس بـ«لصين» (مرقس ١٥: ٢٧؛ متى ٢٧: ٣٨). أما لوقا فيقول انهما كانا «مذنبين» (لوقا ٢٣: ٣٢)، ويشير إليهما يوحنا بعبارة «... الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ» (يوحنا ١٩: ٣٢). مات يسوع بينما ظلا هما على قيد الحياة، ولكن عندما حل المساء كُسرَت أرجلهما لكي يموتا بسرعة إذ انه كان يوم الاعداد للفصح. كتب يوحنا قائلاً: «فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ» (يوحنا ١٩: ٣٢ و٣٣).

نرى أولاً أن الخلاص وبرغم انه عطية النعمة إلا انه يتطلب استجابة ما من جانب الإنسان. نال أحد الرجلين من يسوع الوعد بالخلاص، بينما لم ينل الآخر ذلك. لماذا؟ الإجابة واضحة. واحد فقط منها هو الذي قبل عطية النعمة التي قدمها يسوع. الخلاص يأتي بواسطة

النعمة وبالإيمان المصحوب بالطاعة، وليس بواسطة نعمة وبلا عمل من جانب الإنسان. كان بامكان الرجلان كلاهما أن يُخْلصا، ولكن الذي استجاب بالإيمان لنعمة الله هو الذي خُلِص.

ثانياً: نرى انه يمكن للانسان ان يضيع أكبر فرصة له في الحياة. مع أن اللص الذي كان على الصليب ازدرى بالخلاص، إلا انه كانت له أكبر فرصة لنيل ذلك الخلاص بينما كان معلقاً بجانب يسوع. كان على مسافة بضع أقدام منه ابن الله الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس الذي جاء إلى العالم ليقدم نفسه كفارة لخطايانا. لم يقترب أحد قط إلى الخلاص مثلما اقترب هذا الإنسان. كان بامكانه أن يتوسل إلى يسوع كما فعل اللص الآخر، ويسوع يخلصه - ولكنه لم يفعل كذلك. يقال أحياناً كثيرة: «لو كُنْتُ قد سمعته يبشر، ولو كُنْتُ قد تحدثتُ إليه في الجسد لآمنت!» حصل هذا اللص على تلك الفرص، ولكنه ضيعها.

ثالثاً: نعلم أن نعمة يسوع متاحة لنا حتى اللحظة الأخيرة من حياتنا. يبدو أن المذنب التائب الذي صلب في ذلك اليوم توسل إلى يسوع مراراً وتكراراً أن يذكره متى جاء في ملكوته. لا بد أن يسوع التفت إليه لينظر إليه عندما قال: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا ٢٣: ٤٣). كان يسوع قد أعطى مثل عن عمال يذهبون إلى كرمة في الساعة الحادي عشر (أو قبل ساعة واحدة من نهاية ساعات العمل اليومية). قال يسوع أن هؤلاء العمال أخذوا الأجرة نفسها مثلما أخذها الذين جاءوا في وقت مبكر من اليوم (متى ٢٠: ١٤). عندما كان يسوع على الصليب عمل بما كان قد علمه.

ربما كان هذا الشخص أول من أدخله يسوع إلى الفردوس. كان هذا مجرماً حتى الساعات الأخيرة من حياته. يوضح خلاصه عرض وعمق رحمة يسوع الرائعة جداً. كانت ظروف خلاصه فريدة، وليست نموذجية. في يوم الخمسين جاء زمن الإنجيل. علم الرسل انه ينبغي أن يطيع الناس الإنجيل لكي يخلصوا. يخلص الناس في هذا العصر الأخير من تاريخ البشر بطاعتهم للإنجيل. نحن في يومنا هذا لا نستطيع أن ننظر إلى يسوع في الجسد ونطلب منه أن يخلصنا كما فعل ذلك المجرم. ومع ذلك يذكرنا هذا اللص أن يسوع يرحب بأي نفس صادقة نتوسل إليه بحسب شروط إنجيله، وإن كان ذلك في الساعة الأخيرة من حياتنا.

رابعاً: يذكرنا هذا المشهد أن أظلم ساعاتنا قد تكون أسطع اللحظات. كان الصلب أفظع طريق للموت. لا ينكر أحد أن التعليق على الصليب هو أظلم نهاية لحياة قد يختبرها الإنسان. يكون الصلب أسوأ الإذلال والعذاب الجسدي والعقلي، يتم مواجهة كل هذا أمام عيون العامة المحدقة. ولكن لو لم يكن هذا المذنب قد صُلِبَ في ذلك الوقت المعين (لو لم يكن قد أُعْدِم بجانب يسوع)، هل كان سيخلص؟ أتت به ساعته المروعة جنباً إلى جنب مع يسوع ابن الله. لا بد انه ارتمى عند قدمي يسوع في الفردوس قائلاً: «كانت أظلم ليلية بالنسبة لي أشرق يوم لأنك كنت بجانبي!» لنفهم جميعنا اننا نستطيع أن نحول أسوأ أيامنا إلى أفضل أيامنا إذا ثبتنا عيوننا على يسوع وتوكلنا عليه تماماً وتبعناه بالطاعة والمثابرة.

❖-❖-❖-❖-❖

يقال انه في الجلجثة مات شخص في خطيئة وآخر مات من أجل الخطيئة. أشكر الله اليوم انك مت عن الخطيئة وتحيا كل لحظة للذي مات من أجل خطيئتك.

هناك ينبوع للدم
يسيل من عروق عمانوئيل
يغطس الخطاه في ذلك الفيض
للتخلص من كل ذل ذنوبهم.

تهلل اللص المائت على الصليب أن يرى
ذلك الينبوع العظيم؛
حيث غسلت خطاياي
مع انني حقرت مثله[1].

[1] وليم كوبر في درسه بعنوان «There is a Fountain Filled with Blood» من موقع الانترنت: (www.ctsfw.edu/etext/hymnals/tlh/fountain.tlh) تم الحصول عليه من الانترنت في ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٧.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩